جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الدراسات الأولية الصباحية والمسائية

المرحلة الثانية

صباحي شعبة ج ، والمسائي

محاضرات في :

علم التفسير

د. نور سعد حمود

للعام الدراسي ٢٠٢٣ / ٢٠٢٤م

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

المحاضرة الثانية:

التفسير في عهد النبي ﷺ وأصحابه

*التفسير في عهد النبي ﷺ:

أنزل الله ﷻ القرآن بلسان عربي مبين على نبيه الأمي محمد ﷺ ليبلغه ويبينه للناس كافة ومنهم العرب الذين غلبت عليهم الأمية فنعتوا بها .

تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] كما تكفل لنبيه محمدﷺ أن يجمع القرآن في صدره **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة: ١٧] ، ثم كلف نبيه محمداً ﷺ أن يبينه لهم القرآن وأن يفسره لهم ، قال تعالى مخاطباً نبيه ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، لذا كان الصحابة ﷺ يرجعون الى النبي ﷺ فيما أشكل عليهم فهمه من القرآن ، فيجدون الجواب الشافي.

*مراحل التفسير :

المرحلة الأولى: التفسير في عهد النبي ﷺ :

اختلف العلماء في مقدار ما فسره الرسول ﷺ من القرآن إلى قولين :

الأول : أن الرسول ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه واستدلوا بأدلة منها :

١. **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] ، والبيان يتناول الألفاظ والمعاني.

٢. ما روى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قال: (حدَّثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلَّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً) .

٣. حديث انس بن مالك ((كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة وآل عمران جد فينا)) ذكر الإمام مالك في الموطأ: أن ابن عمر أقام على حفظ "البقرة" ثمان سنوات، والذى حمل الصحابة على هذا، ما جاء في كتاب الله تعالى من قوله: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩]،وتدبر الكلام بدون فهم معانيَه لا يمكن، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف: ٢] ، وعقل الكلام متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام يُقصَد منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، والقرآن أولى بذلك من غيره.

٤. قالوا إن العادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب أو الحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكتاب الله الذي فيه عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة؟

٥. ما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن عمر – رضى الله عنه – أنه قال: "من آخر ما نزل آية الربا، وإن رسول الله ﷺ قُبض قبل أن يُفسِّرها"، وهذا يدل بالفحوى على أنه كان يُفسِّر لهم كل ما نزل، وأنه إنما لم يُفسِّر هذه الآية، لسرعة موته بعد نزولها، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه.

الثاني : إن الرسولﷺ لم يبين لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات واستدلوا بأدلة منها:

١. ماروي عن عائشة ﵂ أنها قالت : لم يكن النبي ﷺ يفسر شيئا من القرآن آياً بعدد علمه إياهن جبريل.

٢. قالوا إن الله لم يأمر نبيهﷺ بالنص على المراد في الآيات كلها لأجل أن يتفكر عباده في كتابه .

٣. قالوا لو بين الرسول ﷺ كل معاني القرآن الكريم لما كان لدعائه لابن عباس: ((اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)).

الرأي الراجح: أن الرسول ﷺ لم يبين كل معاني الآيات القرآنية لأن :

١. ما يرجع فهمها الى معرفة كلام العرب.

٢. منها ما يتبادر فهمه الى الأذهان لظهوره مثل ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣].

٣. منها ما استأثره الله بعلمه كقيام الساعة.

٤. منها ما لا فائدة في معرفته أكثر من معناها المتبادر ، وعلى هذا لا نستطيع الجزم بأن الرسولﷺ لم يفسر لأصحابه كل آيات القرآن .

*منهج الرسول الكريمﷺ في التفسير:

١. لم يفسر الرسول ﷺ القرآن كله سورة سورة وآية آية وإنما بين ما أمر ببيانه من الوحي غير المتلو.

٢. ما نزل عليه تفصيلا لمجمل أو تخصيصا لعام أو تقييدا لمطلق.

٣. فسر الرسول ﷺ ما خفي على الصحابة من المعاني التي لايمكن التوصل اليها باللغة والاجتهاد.

٤. أما عن مصادر الرسول ﷺ فلقد اعتمد على القرآن الكريم ففسر القرآن بالقرآن وفسر القرآن بالسنة لأنها جاءت مبينة ومؤكدة لما في القرآن من أحكام.

والجدير بالذكر في هذا الموضع أن منهج الرسول – صلى الله عليه وسلم –، في الدعوة الإسلامية كان منهج متكامل في الحكمة والرفق والقدوة الحسنة، وقد أرشده القرآن إلى أساليب الدعوة بقوله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

فكان صلى الله عليه وسلم يستعمل في بعض الحالات أسلوباً من الرفق لا يجارى .

ومن أساليبه الدعوية الحكيمة بسط وجهه للناس، وكان يأمر بذلك أصحابه، يقول في حديثه الشريف: ((لا تحقرن شيئاً من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف)). رواه أبو داود والترمذي.

ومن أساليبه التدرج بالبدء بالأهم ثم المهم وهكذا، ففي صحيح البخاري :((أنه – صلى الله عليه وسلم – بعث معاذاً إلى اليمن وقال له: إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة إلا إله إلا الله، فإن هم أجابوك لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ....)) الحديث.